الفصل في الملل والأهواء والنحل

الذي يسميه الناس تفاوتا فلم يبق إلا أن التفاوت الذي نفاه ا تعالى عما خلق هو شيء غير موجود فيه البتة لأنه لو وجد في خلق ا تعالى تفاوتا لكذب قول ا عزو جل ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولا يكذب ا تعالى إلا كافر فبطل ظن المعتزلة أن الكفر والظلم والكذب والجور تفاوت لأن كل ذلك موجود في خلق ا D مرئي فيه مشاهد بالعيان فيه فبطل احتجاجهم والحمد رب العالمين فإن قال قائل فما هذا التفاوت الذي أخبر ا D أنه لا يرى في خلقه قيل لهم نعم وبا التوفيق هو اسم لا يقع على مسمى موجود في العالم أصلا بل هو معدوم جملة إذ لو كان شيئا موجودا في العالم لوجد التفاوت في خلق ا تعالى وا تعالى قد أكذب هذا وأخبر أنه لا يرى في خلقه ثم نقول وبا تعالى التوفيق أن العالم كله ما دون ا تعالى وهو كله مخلوق تعالى أجسامه وأعراضه كلها لا تحاشي شيئا منها ثم إذا نظر الناظر في تقسيم أنواع أعراضه وانواع أجسامه جرت القسمة جريا مستويا في تفصيل أجناسه وأنواعه بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة وهيئة واحدة إلى أن يبلغ إلى الأشخاص التي تلي أنواع الأنواع لا تفاوت في شيء من ذلك البتة بوجه من الوجوه ولا تخالف في شيء منه أصلا ومن وقف على هذا علم أن الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معا تحت نوع الشكل والتخطيط ثم تحت نوع الكيفية ثم تحت اسم العرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت في هذا بوجه من التقسيم وكذلك أيضا نعلم أن الكفر والإيمان بالقلب واقعان تحت نوع الاعتقاد ثم تحت فعل النفس ثم تحت الكيفية والعرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت من هذا الوجه من التقسيم وكذلك أيضا نعلم أن الإيمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع فرع الهواء بآلات الكلام ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية وتحت اسم العرض وقوعا حقا مستويا لا تفاوت فيه ولا اختلاف وهكذا القول في الظلم والانصاف وفي العدل والجور وفي الصدق والكذب وفي الزنا والوطء الحلال وكذلك كل ما في العالم حتى يرجع جميع الموجودات إلى الرؤس الأول التي ليس فوقها رأس يجمعها إلا كونها مخلوقة تعالى وهي الجوهر والكم والكيف والإضافة على ما بينا في كتاب التقريب والحمد رب العالمين فانتقى التفاوت عن كل ما خلق ا تعالى وعادت الآية المذكورة حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها وهي أنه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتا كما زعموا لكان التفاوت موجودا في خلق الرحمن وقد كذب ا تعالى ذلك ونفى أن يرى في خلقه تفاوت وأما اعتراضهم من طريق النظر بأن قالوا أنه تعالى إن كان خلق الكفر والمعاصي فهو إذا يغضب مما فعل ويغضب مما خلق ولا يرضى ما صنع ويسخط ما فعل ويكره ما يفعل وأنه يغضب

ويسخط من تدبيره وتقديره فهذا تمويه ضعيف ونحن لا ننكر ذلك إذ أخبرنا ا D بذلك وهو تعالى قد أخبرنا أنه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه وأنه يكره كل ذلك ويغضب منه فليس إلا التسليم لقول ا تعالى نعم نعكس عليهم هذا السؤال نفسه فنقول لهم أليس ا خلق إبليس وفرعون والخمر والكفار فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضى D عن هؤلاء كلهم أم ساخط لهم فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضى D عن هؤلاء كلهم أم هو ساخط لهم فلا بد من أنه ساخط لهم كاره لهم غضبان عليهم غير راض